

هداية المسترشدين

[437] عنه مع امكان انقلابه بالنظر إلى قدرة الله تعالى وليس ذلك الا من حجة العادة ونقول بمثله في المقام وتارة نقول ان الله سبحانه يوجد العلم الضروري عقيب اظهار المعجزة بصدقة في كل ما يخبر به من الاحكام والوقايح وقد يزداد هناك وجهان اخران بالنسبة إلى استحالة الكذب احدهما انه لو جاز الكذب عليه تعالى لكان صفة له تعالى فتكون قديمة والا لزم اتصافه بالحوادث وهو محال وإذا كانت قديمة امتنع عليه الصدق اما الملازمة فلتقابلته مع الصدق فيقتضى صدق احدهما كذب الآخر ومن المقرر ان ما يثبت قدمه امتنع واما بطلان الثاني فللقضاء الضرورة بان من علم شيئاً يمكن ان يخبر عنه على ما هو عليه وثانيهما وهو الذي في المواقف في استحالة الكذب عليه اخبار النبي صلى الله عليه وسلم يكون صادقاً في كلامه وقد علم اخباره به من ضرورة الدين وقد دل المعجزة على صدقه في خبره ولا يذهب عليه ان ذلك بعينه هو الوجه المتقدم من الاستناد في التصديق إلى المعجزة ويمكن دفع الجميع اما الاول فيما هو بين من ان مجرد موافقة المصلحة وعدمها لا يفرض بوجوب الفعل على الله تعالى وامتناعه إذ لا يجب عليه الاتيان بالافعال على وفق المصالح ولا يمتنع عليه كما هو مختارهم في ذلك على ما نصوا عليه ولو قالوا فيه بالوجوب والمنع عادت المسألة إلى محل النزاع لرجوعه اذن إلى المدح والذم وقد وقع الاحتجاج بالنحو المذكور على استحالة الكذب عليه تعالى في كلام المعتزلة وقد صرح الاشاعرة بابطالها بمنع المقدمة المتقدمة واما التالي فلا رجاء صفة الكمال والنقص بالنسبة إلى الافعال إلى الحسن والقبح بالمعنى المتنازع فيه حسبما مرت الإشارة إليه وما الثالث فبان جريان العادة انا يعلم بعد تكرار الفعل كثيراً على نحو واحد حتى يتسقر الامر عليه ويعلم من جهتها بالحال فلا يجرى ذلك في اول الانبياء بل ولا في احد منهم إذ لا يعلم صدقهم بالا بالمعجزة فمن اين يحصل العلم بالصدق حتى يتحقق العادة في المقام وكذا الكلام في الكذب إذ العلم بجريان العادة انما يحصل بعد العلم بعدم كذبه في شئ من اخباراته حتى يتحقق العادة المذكورة وهو غير معلوم لاحتمال ان يكون جميع اخباراته الغائبة من حواسنا أو معظمها كزماننا هذا ان ارادوا بالعلم العادى هو الحاصل من جريان العادة دائماً على النحو المخصوص وان اريد به حصول العلم العادى الضروري عقيب ذلك رجع إلى الجواب الرابع وهو الذى يظهر من كلامهم عند بيان دلالة المعجزة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب الكلامية وما الرابع فبان حصول العلم الضروري في المقام بمجرد الاتيان بالمعجزة كما ادعوه مخالف لما جرت عليه عادة الله سبحانه في افاضة العلوم الضرورية إذ هي منحصرة بحسب الاستقرار في قاطبة الفطريات والوجدانيات وذوات الاسباب من المحسوسات والحدسيات والتجربات ولا يندرج

ذلك في شئ منها ودعوى حصول العلم الضروري في غير المذكورات لما جرت عليه العادة ودعوى حصول العلم الضروري فيما لم تجر العادة في نظائره بحصول العلم غير مسموعة كمن ادعى ايجاد علما ضروريا بحدوث عقيب ثبوت زيدا وتولد عمرو ونحوهما مما لا ارتباط له بحدوث الاهلاك فضلا عن دعوى حصوله بعد ذلك بالنسبة إلى ساير الناس مضافا إلى انه لو بنى الامر على ايجاد العلم الضروري كيف ما كان ولما كان هناك حاجة إلى المعجزة وجاز ايجاده بمجرد ادعائه النبوة فيكون اعتبار ذلك لغوا بل يكون ارسال الرسل وانزال الكتب ايضا عبثا للاكتفاء بايجاد العلم الضروري بالاحكام من دون سبب ومقتض في الجميع كذا ذكره بعضهم في المقام وقد اضعفنا إليه بعض ما يؤيد المرام قلت ويمكن دفعه بادراجه في المحسوسات الا بان يكون نفسه محسوسا بل ما يؤدي إليه حينئذ فانه ايضا بمنزلة الاحساس به كالعلم الضروري بالشجاعة و السخاوة ونحوها من الصفات النفسية بان يكون امن الاحساس باثارها البينة فانه الاحساس بتلك الآثار وبمنزلة الاحساس به كالعلم بمبديها وبذلك يندرج العلم الاصل بها في الضروريات ومن مودى المحسوس وح نقول ان الاحساس بالفارق بعد ادعائه النبوة كما يوجب العلم الضروري بحصول الخارق كذا يفيد العلم بصدق المدعى كما يشاهد ذلك بالنسبة إلى الفطرة السليمة إذا القى عليه المعجزة إذ بمجرد رؤيته لصدوره المعجزة العظيمة الخارقة للعادة يقطع بصدق فلك المدعى في دعواه كما يشاهد ذلك في معاشر الانبياء ص فان من يرى منهم ذلك لا يبقى له مح للريب في تصديقهم الا ان يكنر كون ذلك معجزة بدعوى السحر كما هو الحال في الكفار المشاهدين للمعاص والافبعد تسليم عدم كونه سحرا لم يكن للكفار ايضا مح للتشكيك وانما كان تبليسهم على الناس أو على انفسهم من جهة دعوى كونه سحرا الا معجزة كيف ولولا ذلك لم يقيم للانبياء حجة بابداء المعجزة الا بعد اثبات الصانع وحكمة وعموم علمه وقدرته حتى يتم لهم دلالة المعجزة على تصديقهم وليس الحال كك بل كان مجرد ابدائهم المعجزة برهاننا لهم على تصديقهم الا ترى إلى قول فرعون لقومه ما علمت لكم من ا غيرى ومع ذلك لم ينقل موسى المباحثة معه في اثبات المطالب المذكورة واقامة لبرهان عليها ولا حكاية سبحانه تع في شئ من قصص موسى وفرعون بل جعل برهانه العصا واليد البيضاء حيث قال له سبحانه فذانك برهانان عن ربك إلى فرعون وسلاه وبعد ما جاء بهما لم يناقش معه فرعون في افادة تصديقه الا بدعوى كونه سحرا إذا الحاصل اذن ابداء المعجزة بعد دعوى الرساله يفيد علما ضروريا بصدق المدعى بحيث لامح للفطرة السليمة انكاره وبه يثبت وجود الصانع وساير صفاته الكماله وصدق النبي ص على قبح اجراء المعجزة على يد الكاذب حسما ذكر في الاستدلال فلا يتم الاحتجاج المذكور نعم قد يق بانه لا بد من ارتباط بين ابداء المعجزة وبين صدق صاحبها ليصح من جهة الانتقال منها إليه والظ ان ذلك من جهة دلالتها على مرتبة الاتي بها وبلوغه إلى اقصى درج الكمال فلا يقع منه الكذب لعلو منصبه عن ذلك ح وذلك ايضا على

قاعدة التحسين والتقبيح إذ لو كان الصدق والكذب متساويين في ذلك لجاز منه وقوع الامرين فلا يتم الجواب ايض من دون البناء على القاعدة المذكورة فت الثالث انه لو لم يثبت حكم العقل بالتحسين والتقبيح لزم اقحام الانبياء وانقطاعهم فيما يطهرونه من الدعوى والتالى واضح الفساد بيان الملازمة انه لاحسن ولا قبح اذن مع قطع النظر عن حكم الشرع فإذا
